بسم الله الرحمن الرحيم (البنغالي محمد يونس يضرب مثلا)

فاز محمد يونس أستاذ في جامعة شيتاكونك - بنغلادش بجائزة نوبل للسلام مناصفة مع مصرف أسسه لإعانة المحتاجين على إعالة أنفسهم وسمي (مصرف الفقير).

ولهذه الجائزة أهم جوائز نوبل وتبلغ قيمتها مليوناً وأربعمائة ألف دولار أمريكي، وقد أوصى نوبل بمنحها للمصلحين تكفيراً عن اكتشافه الديناميت واستعمال المفسدين لهذا الاكتشاف للقتل والتدمير.

وقد فاز محمد يونس ومصرفه بالجائزة رغم كثرة وقوة منافسيه وعلى رأسهم الرئيس الفنلندي السابق (أتاساري) وعددهم (١٩٠).

وفاز قبل ذلك بعشرات الجوائز المحلية والعالمية ودرجات الدكتوراه الفخرية وحفلات التكريم.

لماذا؟ لأنه ابتكر نمطاً من الإغاثة تخلت عنه مؤسسات وأفراد الإغاثة النصرانية الغربية ومنه قللها من أفراد ومؤسسات في بلاد المسلمين الغربية (السعودية وبقية دول الخليج).

لهذا النمط الجديد الذي تميز به محمد يونس لا يقوم على الثلاث التي ابتدعتها الإرساليات التبشيرية الغربية وتأسست بها جمعيات الإغاثة الخليجية (بخاصة) من جمع الملايين من تبرعات المحسنين وصرفها روتينياً وشكلياً على المنتفعين وفي مقدمتهم العاملين فيها والتابعين لمناهج المبتدعة (طريقة أو حزباً أو حركة) بنتيجة منقطعة.

محمد يونس لا يقدم دولاراً واحداً لسد حاجة حاضرة منقطعة بل يقدم للفقير الراغب في العمل قرضاً بمعدل مائة دولار يبدأ به عملاً لكسب قوته وقوت أهله (مثل الخياطة والتطريز والحياكة وصنع السلال والأواني الفخارية ونحوها)، ويترك سد الحاجة المنقطعة للعطاء الفردي من الزكاة والصدقة.

ولد محمد يونس عام ١٩٤٠ وكان ثالث أبناء أسرة تضم أربعة عشر طفلاً مات منهم خمسة بعد ولادتهم بزمن قصير، وتعلم في بلاده

حتى أنهى سنوات الدراسة الجامعية، وحصل على درجة جامعية من الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل في جامعة شيتاكونك.
وهيبة كان رئيساً لقسم الاقتصاد في هذه الجامعة عام ١٩٧٤ قاد فريقاً من طلابه في رحلة ميدانية إلى ريف بنغلادش بعد أن مات الآلاف بسبب المجاعة فرأى من الفقر والجوع والمرض والجهل ما أقنعه بوجوب العمل على الإصلاح المستمر.
بدأ العمل بإقراض الفقير بضعة وعشرين دولاراً بشرط صرفها في شراء الأدوات والخامات الضرورية لبدء الاحتراف ثم سداد القرض من ناتج العمل.
ورأى من نجاح المشروع ما شجعه على تأسيس (مصرف القرية) للتوسع في عملية الإقراض عام ١٩٨٣.
وقد بلغ عدد المقترضين حتى نهاية العام الماضي نحو ستة ملايين وخمسمائة ألف مقترض، وبلغت نسبة سداد القروض ٩٨٪، ويمثل المقترضون ٩٤٪ من أعضاء المصرف الذي أعانهم به الله على تجاوز خط الفقر، ويشاركون في اختيار أعضاء مجلس إدارته كل ثلاث سنوات، وتقدر قيمته بأكثر من ستة آلاف مليون دولار.
ويحصل المقترضون المساهمون في المصرف على معاشات للتقاعد مقابل دولار شهرياً، ويحصلون على تأمين على الحياة بمجرد مساهمتهم في المصرف دون مقابل مالي يدفعونه للحصول على هذه الخدمة، ويحق لأبناء المقترضين الذين أنهوا دراسة المراحل التعليمية العامة الإقراض لاستكمال تعليمهم الجامعي بما يشمل رسوم الدراسة والإعاشة ونحوها، وقد استفاد من هذه القروض أكثر من أحد عشر ألف طالب.
ويعمل (مصرف القرية) على مكافحة التسول بما يسميه: (برنامج الأعضاء المكافحين)، وقد التحق به أكثر من ثمانية ألف متسول حصلوا على قروض بلغت أكثر من مليون دولار سُدد منها نحو ٧٠٪.
ويبدي محمد يونس (٦٦ سنة) شعوراً بالفخر لاعتراف العالم بنجاحه

في تحويل فكرته في الإصلاح إلى مؤسسة عالمية عام ١٩٩٧ ضمت شبكة عالمية تضم اثنين وخمسين شريكاً في اثنين وعشرين دولة تقدم المعونة - حتى الآن - لنحو أحد عشر مليون مقترض في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط والأمريكتين، وقد بنى البنك الدولي الفكرة بعد أن كانت غير واقعة منه بجاحة (١).

ومع لمزي إلى تميز محمد يونس في هذه الجزئية الدنيوية من حياته الفكرية العملية ودعائي له بأن يرده الله إلى دين الحق رداً جميلاً ويهديه لأقرب منه هذا رشداً، فإني لا أغفل عنه تفريطه في جنب الله هدانا الله وإياه؛ فهو مثل أكثر مؤسسات الإغاثة وأفرادها يفصلون بين الإغاثة الدنيوية أو المعونة على مزاج القوة قولاً أو عملاً أو هما معاً، أما النية فصالح عند الله وحده.

أما محمد يونس فلا يدعي أي صلة بين مشروعه الإغاثي وبين القيم التي ورثه من أبويه كما يرث وطنه وجنسيته ومصرفه يأخذ ويعطي بالربا صراحة، بل لا يدرك المطلع على سيرته أي صلة بين دينه الإسلام خبراً (هداه الله) كما علمت مراراً.

وأما أفراد الإغاثية العرب ومؤسساتهم ومصارفهم فيركب الجميع - إلا من رحم الله - وصف الإسلامي والإسلامية ويدعون نصر الإسلام بإغاثة المسلمين ويحتالون على الربا ويخالفون شرع الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في الدعوة؛ فلا تتضمن أهم ما دعا إليه جميع رسل الله من إفراد الله بالعبادة والالتزام بالسنة والتحذير من الإشراك بالله في عبادته وما دون ذلك من البدع مع كثرتها.

ولكننا في زمن غير بعيد من غربة الدين نفرح بمجرد اسم الإسلام ودعوى الإصلاح والتعاون والاجتماع كلمة المسلمين دون ضابط.

ولعل الله أن يهدي الجميع لما اختلف فيه من الحق بإذنه ١٤٢٧/٢/٣٩

(١) استقيت هذه المعلومات من برنامج مدته دقيقة (CBS) ومن بعض مثقفي بنغلادش، وجمع أكثرها فضيلة الشيخ عبد الحق التركماني في التسويد، فقهم الله للحق والعدل.